

(1)

«الناصرية حركة جماهيرية
استطاعت أن تطبع بصماتها على
الواقع المصرى والواقع العربى»

ما هى الناصرية ومن هم الناصريون ؟

قد يعتبر البعض هذا السؤال سؤالاً ساذجاً .

ولكن هناك هجمة شديدة تشن من اليمين وأحياناً من اليسار على الناصرية والناصرين وتحاول هذه الهجمات من ناحية اليمين تشويههم باعتبارهم بقايا مراكز القوى أو اعتبارهم ماركسيين. ومن ناحية اليسار تشويههم باعتبارهم مؤيدين للإرهاب والدكتاتورية أو المتأثرين بلا وعى بشخصية عبد الناصر دون اقتناع فكري .

وبالتأكيد فإن لمحاولات التشويه هذه تأثيرها على معرفة الجماهير - ومنها جماهير الطلاب - للحقيقة حول الناصرية والناصرين ؟

كانت ثورة 23 يوليو 1952 نقطة تحول بالغة الأهمية لا فى تاريخ هذا البلد فحسب ، وإنما فى تاريخ المنطقة العربية بأسرها أيضاً. ثم ما لبثت أن كانت من القوى الفعالة والمؤثرة على الصعيد الدولى بحكم أهدافها وحيويتها وأفعالها .. ومن هنا يمكننا اعتبار أن الفلسفة الكامنة وراء هذه الثورة هى من الطراز الذى يتخطى الحدود الإقليمية للبيئة التى وقعت فيها هذه الثورة.

والناصرية التى كانت تعبيراً عن ثورة يوليو- ليست مجرد فكر نظرى ، بل أنها قبل ذلك واهم حركة جماهيرية استطاعت أن تطبع بصماتها على الواقع المصرى والواقع العربى . كما كان لها تأثير واضح على حركات التحرر فى العالم الثالث .
وحيثما نريد أن ندرك أبعاد الناصرية ، لا يكون ذلك بدراسة وتحليل لكتابات وخطب وأقوال الزعيم جمال عبد الناصر ، وإنما يكون أيضا بالعودة إلى الأعمال التى تم تنفيذها بالفعل .
وقد ترك عبد الناصر تراثا يعتبر مرجعا أساسيا إذا جاز التعبير
توضح لنا ما هى الناصرية :

أولا: نصوص مكتوبة يأتى فى مقدمتها الميثاق وبيان
30 مارس وخطبه وأحاديثه الأساسية فى المناسبات
الكبرى.

ثانيا: نصوص تطبيقية مكتوبة فى صورة القوانين
والتشريعات والقرارات التى رسمت المعالم الأساسية
للمجتمع العربى المتجه إلى الاشتراكية.

ثالثا: مواقفه السياسية فى مواجهة شتى أنواع التحديات
السياسية والاقتصادية والعسكرية ، المحلية
والعربية والدولية .

هذه الأمور الثلاثة- دون الدخول فى تفاصيل- تشكل
معالم الفكر الناصرى أو ما يطلق عليه اسم الناصرية .

وإذا كان المجال هنا ليس متاحا لسرد كافة نواحي الفكر الناصري والتي أبرزنا أهم ملامحها في بيان المنبر الاشتراكي الناصري . فأنتي أستطيع القول أن الناصرية تقوم في أساسها على عدة مقومات :

الإيمان بالله ومبادئ الأديان

- الإيمان بالقومية العربية والوحدة العربية
- إن الناحية المادية ليست هي العامل الوحيد في تطور المجتمع وأن الفكر ليس مجرد انعكاس للواقع المادي القائم . ولكن القيم الروحية والفكر الإنساني لعبت وتلعب دائما بجانب الناحية المادية دوراً كبيراً في تطور العالم . وأن التفاعل بين هذه النواحي الثلاث هو الذي يؤدي إلى تطور المجتمع
- الإيمان بالإنسان كصاحب فكر يستطيع أن يلعب دوراً أساسياً في تطور المجتمع . وأن يصوغ القوانين الاجتماعية التي تحقق ذاتيته وشخصيته في إطار المجتمع .
- إن حرية الإنسان ترتبط بمتطلبات وجوده وذلك بأن يتحرر من الفقر والحاجة أي أن يكون لديه الاكتفاء الاقتصادي . وأن يتحرر من الجهل فان المعرفة شرط من

شروط التمتع بالحريّة . وأن يتحرر من الخوف بحيث يكون أمنا على يومه ومستقبله.

- الارتباط بالتراث. أى الربط بين الفكر الإسلامى والفكر القومى والقضاء على التناقض المفتعل بينهما والذى تستخدمه القوى الرجعية لضرب الفكرة القومية ومبدأ الوحدة العربية.

- التفاعل مع مكونات الحضارة الحديثة والانفتاح على الفكر العالمى ليكون ذلك عاملا من عوامل التقدم العربى

- النظرة العلمية الشاملة لمشاكل المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

- حتمية الحل الاشتراكى حيث أصبح هو الطريق المفتوح- فى ظروف مجتمعنا لأحداث التنمية الشاملة فى المجتمع على أساس علمى

- تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع فى نطاق تحالف قوى الشعب العامل

وكما كانت الناصرية بالنسبة للقواعد الشعبية راية نضال ، كانت بالنسبة لبعض الزعماء أو المتزعمين

والانتهازيين ومحترفي السياسة مادة للتجارة ، يأخذون منها ما يناسبهم ويدارون ما لا يناسبهم ، وفى أحيان كثيرة لعبوا أدواراً تخريبية للناصرية ذاتها باسم الناصرية. أولئك الذين كانوا لا يفيدونها ، ولكن كانوا يستثمرونها لتحقيق مآرب سياسية محلية أو مآرب شخصية. ومن هنا ظهرت بعض الأخطاء والسلبيات التى يحاول البعض استخدامها لإجهاض أكبر حركة ثورية فى تاريخ الشعب المصرى والشعب العربى. وعلى العموم فإن الناصرية هى حصيلة تجارب وصراعات الشعب المصرى ضد الاستعمار والإقطاع والرأسمالية المستغلة طيلة قرن من الزمان . وكان عليها أن تتزامن مع حركة العصر الذى نعيش فيه عصر انتصار الاشتراكية عصر الثورة السياسية والثورة الاجتماعية والتى كانت إحدى النتائج الكبرى للحرب العالمية الثانية. وكان على الناصرية لكى تشق طريقها بنجاح على الأرض المصرية أن تواجه تحديات الاستعمار والرجعية فى المنطقة العربية باعتبار أن مصر تؤثر وتتأثر بما يجرى حولها من أحداث. ومن هنا تكلم كتاب «فلسفة الثورة» عن الدوائر التى تعمل فى إطارها الثورة المصرية ، وهى الدائرة العربية والدائرة الإسلامية والدائرة الإفريقية. إذا فالناصريون ليسوا مجرد بقايا لمراكز القوى أو من مؤيدى الإرهاب والدكتاتورية أو من المتأثرين بلا وعى بشخصية

عبد الناصر دون اقتناع فكرى . بل إنهم مناضلون فى سبيل مبادئ وقيم عبر عنها عبد الناصر وظل يكافح ويناضل حتى استشهد من أجلها . ناضلوا من أجل مصر وقوميتهم العربية على طريق الناصرية، ولم يتخذوها وسيلة للإثراء أو للجاء والسلطان كما فعل البعض . لم يتلونوا ويغيروا من مبادئهم وفق الظروف والأحوال وحسب التبديل فى مواقع مراكز القوى، بل ظلوا مرتبطين بال جماهير فى نضالها من أجل حريتها ومستقبل حياتها . ولعله من المفيد فى هذا المجال أن تعلم جماهير الشباب والطلاب - الذين لم يعاصروا قيام ثورة يوليو المجيدة أن جيل الثورة استطاع أن يحقق:

- جلاء الاستعمار البريطانى بقواعده وجنوده عن مصر بعد معارك مريرة على أرض منطقة القنال بعد احتلال دام أكثر من سبعين عاما .
- وأن يحقق شخصية مصر العربية بعد أن حاول الاستعمار والرجعية طمسها وعزل مصر عن واقعها التاريخى .
- وأن يحارب سياسة مناطق النفوذ فى الوطن العربى ويحطم الأحلاف العسكرية وعلى رأسها حلف بغداد .
- وأن يقود الثورة الاجتماعية ، ويحدث تحولا عميقا فى الواقع المصرى ، ويغير خريطة مصر كما لم تتغير فى

- كل تاريخها . وأكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطنى ،
- وأن يحرر الاقتصاد المصرى من التبعية بعد أن كان نهبا لقوى الاستعمار والإقطاع والرأسمالية .
- وأن يسترد قناة السويس التى كانت أكبر معاقل الاستعمار الاقتصادى بعد معركة دامية عام 1956 .
- وأن يضع أسس الانطلاق الصناعى والقاعدة العلمية فى مصر لتكون دعامة للاستقلال السياسى .
- وأن يبنى السد العالى ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجذبة .
- وأن يمد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادى النيل من جنوبه إلى شماله . وأن يفجر موارد البترول بعد انتظار طويل
- وأن يدخل فى صراع مريع ضد الحركة الصهيونية المحتلة فى إسرائيل والمدعمة من الإمبريالية العالمية ويحقق انتصار أكتوبر العظيم .
- وأن يحقق مجانية التعليم فى كافة مراحله بعد أن كان وقفا فقط على القادرين .
- وأن يحرر الحركات النقابية والعمالية والفلاحية من القيود التى عاقت حركتها لكى تساهم فى بناء

المجتمع وغير ذلك من إنجازات فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية .

- وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل الوطنى تحالف قوى الشعب العامل الذى هو المصدر الدائم لقيادات متجددة ، تحمل أعلام النضال الوطنى والقومى مرحلة بعد مرحلة لتبنى الاشتراكية وتحقق وتنتصر. هذه هى الناصرية فى أبسط صورها والتى تعدت أصدافها ومبادئها ليس فقط حدود مصر وحدود الوطن العربى بل دول العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. أما الناصريون فهم أولئك الذين يؤمنون بهذه المبادئ ولم يرتابوا أو يخونوها أو يلتفوا من حولها وظلوا صامدين فى مواقعهم .

- ويكفى جيل الثورة يوليو 1952 فخرا أنه حطم الاستعمار القديم بقواعده وأساليبه وعملائه، وأن يظهر الأرض العربية منه . أن جيل الناصريين الجديد يجب أن يعى مستقبل وطنه وأمتة وأن يكون قادرا للقضاء على الاستعمار الجديد الذى بدأ يزحف ويطبق بأياديه القوية على رقاب شعبنا والشعب العربى ليعيده مرة أخرى إلى مناطق النفوذ . لقد أصبح من الضرورى استمرار الثورة . فالثورة - كما قال جمال عبد الناصر ليست فورانا عاطفيا وإنما الثورة فى

أصالتها : هى علم تغيير المجتمع . ولا يتغير المجتمع
بالغضب على ما كان فيه وعدم الرضا بالأوضاع التى
سأدتة ، وإنما يتغير المجتمع بتحليل علاقات القوى
الاقتصادية والاجتماعية فيه ، وإعادة تشكيلها على
أسس جديدة لصالح أوسع الجماهير .